

النفاق الإجتماعي (ذو الوجهين واللسانين)

السنة العشرون
العدد ٩٨٥ - ١٨ جمادى الأولى / ١٤٣٣ هـ
الموافق ١٠ نيسان / ٢٠١٢ م

محاور الموضوع الرئيسية:

١. معنى النفاق.
٢. النفاق الإجتماعي.
٣. النفاق حالة مرضية.
٤. عاقبة النفاق الإجتماعي.
٥. خاتمة: لا بد من العلاج.

الهدف:

التنبية على مرض النفاق الإجتماعي،
وآثاره والتحذير منه، وضرورة علاجه.

تصدير الموضوع:

عن النبي ﷺ: «للمنافق ثلاث
علامات يخالف لسانه قلبه، وقلبه
فعله، وعلايته سريرته»^(١).

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤

مقدمة: معنى النفاق:

النفاق في اللغة مشتق من النفق، وهو الطريق النافذ في الأرض والمحفور في الأرض للإستتار أو للهرب. وله مفهومان: خاص وعام؛ فأما المفهوم الخاص: فهو صفة لأولئك الذين يُظهرون الإسلام ويبطنون الكفر؛ وبشكل أخص هم فئة ظهروا في زمن الرسول الأعظم ﷺ وفي المدينة المنورة بالذات، وقد تحدّث الله عنهم في كتابه وأشار إلى عظيم خطّهم، وأمر بمواجهتهم وقتالهم، فهؤلاء كانوا جماعة في أصلها معادية للإسلام وللنبي ﷺ وكان الواقع السائد قبل الإسلام وقبل الهجرة يلائم مصالحهم، وكانوا في حقيقة أمرهم عندما كان عود الإسلام طرياً من المعادين والمحاربين تارة بالقوة المسلّحة،

بطلاقة وجه وبشاشة تُظهر سروره بهم، وإذا راحوا عن مجلسه أو مكان لقائه وأمن منهم، عبّس واكفّر، وربما عبّس على الشفاء أو الأنامل غيظاً وحَنَقاً، عن الإمام الباقر ﷺ: «بئس العبد همزة لمزة يقبل بوجهه ويدبر بآخِر»^(٢).

٢. النفاق القولي: وهو المعبر عنه في الروايات بذّي اللسانين وهو الذي يقول في محضر الشخص الكلام الجميل ويطري ويتأهل به، فإذا صار خلوداً منه أطلق لسانه ذنباً يرعى في لحم أخيه، ينهشه غيبة وبهتاناً وربما شتمه وذمّه، وهتك ستره، ونمّ عليه ليوغر صدور الآخرين عليه.

وعن ذلك قال الإمام الباقر ﷺ: «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً، ويأكله غائباً، إن أُعطي حسّده، وإن ابتلي خذله»^(٣).

وإذا رجعنا إلى واقعنا الحالي نجد كثيراً من مصاديق أهل النفاق الإجتماعي الذين يُظهرون المحبة، ويُبطنون، البغضاء، ويلبسون ثوب الناصح، ويضمرون الغش، والخديعة والخيانة.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: ... ورجل استقبلك بوذ صدره فيواري (وقلبه) ممثلي غشاً»^(٤).

وأخرى بالقوة الإقتصادية، وأخرى بالسخرية والإستهزاء، وربما بالتضليل الإجتماعي، ولكن عندما بدأت تلوح علائم انتصار الإسلام وهيمنته وقوته، أظهروا الإستسلام ظاهرياً وتحولوا باطنياً وسرياً إلى معارضة سريّة تعمل من داخل مجتمع المسلمين إلى اسقاط الإسلام، ومجتمع المسلمين، وتعمل على ترصد حركة المسلمين ومد الأعداء بها، فالمنافق يظهر شيئاً ويضمّر ضده، ولذا فالمنافقون أخطر الأعداء، بل هم العدو الحقيقي كما عبّر القرآن الكريم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾ وللنفاق مفهوم آخر عام يشمل كل حالة لها هذه الميّزات، وقد جاء هذا التعميم لمفهوم النفاق على لسان النبي الأعظم ﷺ حيث ورد عنه قوله: «من خالفت سريرته علانيته، فهو منافق كائناً من كان»^(١).

النفاق الإجتماعي:

ومن مصاديق النفاق ما يصحّ أن نسميه النفاق الإجتماعي فعن الإمام علي ﷺ: «ما أقبح بالإنسان أن يكون ذا وجهين»^(٢).

فالمقصود من النفاق الإجتماعي هو النفاق في العلاقات بين أبناء المجتمع، حيث يمكن تقسيمه إلى نوعين:

١. النفاق العملي: وهو المُعبّر عنه بذّي الوجهين، حيث يقابل الآخرين

(٢) المصدر نفسه.

(٤) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤، (باب النفاق).

(٥) المصدر نفسه.

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤، (باب النفاق).

(٢) المصدر نفسه.

إليه يصعد الكلم الطيب

النفاق حالة مرضية

من جملة ما وصف به الله تعالى المنافقين قوله عن صفتهم: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(١).

فهذه الآية اعتبرت أنَّ النفاق نوع من المرض، لأنَّ حقيقته هو ازدواجية الشخصية، فالإنسان السالم له وجه واحد، وفي ذاته انسجام تام بين الباطن والظاهر، وبين الروح والجسد، لأنَّ كلاً منها يُكمل أحدها الآخر، وأما النفاق فهو حالة من التضاد بين المحتوى الداخلي، والمظهر والسلوك الخارجي، ولذا فهذا المرض الخطير له ظواهر يفرزها من الأعمال، والأقوال، والسلوك الفردي والإجماعي.

فمن أعراض هذه الآفة:

١. **التلون والتذبذب**، وعدم الثبات، فهو مع كل شخص بصورة ولون يناسبه.

٢. **المكر والخداع**، والخيانة، والتملق.

٣. **التعالي والتكبر على الناس** واستحقار الناس باعتبارهم بُلهاء وسُفهاء.

٤. **الأنانية وعبادة الذات**، فلا يخطر ببالهم إلا مصالحهم.

٥. **الإغتياب والنميمة**، والحسد والخذلان لأصدقائه، إذ كل ما يقدمه للآخرين لا يتجاوز لسانه إلى جيبه فضلاً عن نفسه.

٦- **الإنتهازية** وتحين الفرص.

عاقبة النفاق الإجتماعي

إنَّ مرض النفاق بشكل عام، والنفاق الإجتماعي بشكل خاص خطير جداً

بآثاره ونتائجه في الدنيا والآخرة.

فلو تماذى الإنسان المنافق في غيِّه وضلاله، سوف يصل إلى حدِّ فقدان القدرة على تشخيص واقعه.

أَمِنَ الصالحين هو أم من الفاسدين المفسدين، ذلك لأنَّ انقلاب الموازين عنده وهيمنة المرض عليه، إذ تتراءى للمنافق أعماله الإفسادية أعمالاً إصلاحية، وهم على صواب والآخرون على خطأ، والحكمة والحكمة هي فيما يقولون ويفعلون، والآخرون أهل سفاهة وبلاهة، وبالتالي فهم في عمق مشكلتهم يلجأون نتيجة إصابتهم بهذا المرض إلى خداع أنفسهم، ويعمدون ليتخلَّصوا من وخز الضمير وتأنيبه، إلى خداع أنفسهم وضميرهم ووجدانهم، وشيئاً فشيئاً بالتدريج يصبح المنافق مقتنعاً بأنَّ ما يقوم به ليس انحرافاً ولا عملاً سيئاً، بل على عكس ذلك من الصفات، وهذا سيؤدي أخيراً إلى شلِّ الضمير وإسكات صوته؛ وهنا غاية السوء حيث يُصبح النفاق حقيقة النفس وواقعها وصورتها الباطنية.

ومن كان واقعه في الدنيا هكذا كيف ستكون صورته وواقعه في الآخرة؟

أما صاحب النفاق العملي فقد رُوي عن رسول الله ﷺ: «ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار»^(٢).

وصاحب النفاق القولي يقول عنه ﷺ: «من كان ذا لسانين، جعل الله له لسانين من نار»^(٣).

فالمنافق في الدنيا إذا عرفه الناس

يَسْقُط من أعينهم، ويفقد كرامته، ويطرده من مجالسهم، وفي الآخرة يحشر مشوَّه الخُلقة بلسانين من نار، ويُعَذَّب مع المنافقين والسياطين^(٤).

خاتمة: لا بدُّ من العلاج:

لأنَّ مكائد النفس والشيطان خفيَّة، ولأنَّ الأمراض تتسلَّل إليها خلسة، وفي غفلة منَّا، فلربما يصبح الإنسان أحياناً كما يقول الإمام الخميني (قُورْنِ) «بإشارة من إشاراته، أو بغمز وتعرّض يصدر منه في غير موضعه من ذوي الوجهين، وقد يكون الإنسان مُبتلى بهذه الرذيلة حتى نهاية عمره وهو يتصور نفسه سليمة طاهرة».

ولذا فإنَّ العلاج كما يصفه (قُورْنِ) هو:

١. **علمياً**: التفكير في مفسد هذه الموبقة وآثارها، ونتائجها الدنيوية والأخروية.

٢. **عملياً**: لا بدُّ من مراقبة الإنسان لحركاته وسكناته، وأن يجعل أعماله وأقواله منسجمة ومتوافقة، ويعمل على المطابقة بين القلب واللسان والوجه، ويتبعد عن كل مظاهر الخداع. وإذا مالت نفسه إلى شيء من ذلك، فليُخالف رغباتها ويعمل بعكسها، وعلينا مع كل ذلك أن لا ننسى أنَّ التوفيق والنجاح دائماً بيد الله تعالى ولذا فلا بدُّ من الطلب من الله عبر الدعاء أن يوفِّقنا في معالجة أنفسنا، موقنين بأنَّه تعالى برحمته اللامتناهية يمدُّ لنا يدَ العون لإنقاذنا ومعاونتنا في خطواتنا العلاجية.

والحمد لله رب العالمين

(٤) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني (قده)، ص ١٩٩.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٤، (باب النفاق).
(٣) المصدر نفسه.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠.

